مقدمة الجزء الثاني

ترجمة بتصرف
أ.د. مضر خليل عمر

تصف الجغرافية البريطانية دورين ماسي (١٩٩٤) نزهةً في شارع التسوق المحلي بلندن ، فتُفتتن بالتنوع الغني للثقافات التي تصادفها باستمرار . هناك متجر يبيع الساري الهندي ، وكشك جرائد يبيع الصحف من جميع مقاطعات جمهورية أيرلندا ، ومتجر بقالة يديره مسلم ، بينما يُسمع في السماء صوت أزيز الطائرات المتواصل وهو يشق طريقه إلى مطار هيثرو ، أحد أكبر المطارات الدولية في العالم . ما تجده ماسي مُلفتًا للنظر في هذا المزيج من الأشخاص والأنشطة هو الطريقة التي يُثيرون بها "شعورًا عالميًا بالمكان" ، ووعيًا بالترابط العالمي بين منطقة مُحددة والعالم الأوسع . يُعد مفهوم الترابط العالمي هذا جوهريًا لمفهوم العولمة . يستحضر المصطلح صورة عالم من الروابط والشبكات "يهزّ أساليب حياتنا الحالية ، أينما كنا" (جيدنز 1999: 19).

ورغم أن المصطلح نادرًا ما كان يُستخدم قبل عشرين عامًا ، إلا أنه يبدو الآن حاضرًا دائمًا في خطابات السياسيين وتصريحات قادة الأعمال . بل إنه أصبح مصطلحًا جامعًا ، "يستخدمه الكثيرون لربط جميع "الخير" و"الشر" في المجتمع المعاصر تقريبًا" (ديكين 2004: 5) . لكن شيوع المصطلح يعني أن تحديد معناه الدقيق أصبح صعبًا بشكل متزايد . ومع ذلك ، تبرز سمتان في معظم مناقشات العولمة . أولاً، تشير العولمة إلى نطاق محدد من النشاط الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي ذي النطاق العالمي ، حيث "يمكن للأحداث والقرارات والأنشطة في جزء من العالم أن تُحدث عواقب وخيمة على الأفراد والمجتمعات في أجزاء بعيدة جدًا من العالم" (ماكجرو 1992: 23). ثانيًا، تتكون العولمة من عمليات "عابرة للدول" ، وهي عمليات لا تتجاوز الحدود فحسب ، بل "تعمل كما لو لم تكن هناك حدود" (تايلور وآخرون 2002: 3).

تشمل أمثلة هذه العمليات "العابرة للدول" كل شيء بدءًا من المعاملات المالية العالمية ، ووصولًا إلى الاحتباس الحراري وأنشطة الإرهابيين الدوليين . ومع ذلك ، فإلى جانب هذه الخصائص الأساسية ، يدور جدل كبير حول طبيعة العولمة وأهميتها . فمن ناحية ، هناك "المتشككون" الذين ينظرون إلى العولمة على أنها ليست بالأمر الجديد ، مؤكدين على التاريخ الطويل للتبادل الاقتصادي والعلاقات السياسية بين مختلف أنحاء العالم . من ناحية أخرى ، هناك "المتطرفون" الذين يدّعون أننا نعيش الآن في "قرية عالمية" ، عالم بلا حدود ، حيث الدول القومية غير ذات أهمية والثقافات متجانسة (ينظر جيدنز 1999).

بالنسبة لمعظم الجغرافيين ، تكمن أهمية العولمة في مكان ما بين هذين الموقفين المتطرفين المتشككين والراديكاليين . هناك اختلاف نوعي في الاقتصاد العالمي اليوم مقارنةً بالماضي من حيث كثافة الترابط والدور الحاسم الذي تلعبه الشركات العابرة للحدود الوطنية ، ومع ذلك ، على الرغم من العولمة (أو حتى بسببها)، ما تزال المساحات السياسية ، مثل الدول القومية ، وكذلك الثقافات المحلية ، مهمة . في ظل هذه الخلفية العامة ، ما هي الطرق الأكثر تحديدًا التي أثرت بها العولمة على جغرافية الحضر ؟ عند اختيار موضوعات هذا القسم ، تبرز أربعة محاور . أولاً، على الرغم من أن التنمية الحضرية ظاهرة عالمية بحق (اعتبارًا من عام 2000، كان عدد سكان المناطق الحضرية يفوق عدد سكان المناطق الريفية في العالم (كلارك 2003))، إلا أن بعض المدن أكثر أهمية من غيرها على الصعيد العالمي . في الماضي ، كانت مدن مثل لندن وأمستردام والبندقية ذات أهمية بالغة في تنظيم التجارة الدولية وممارسة القوة الإمبريالية . أما اليوم، فقد برزت مجموعة جديدة من المدن كمراكز قيادة وسيطرة للرأسمالية العالمية . وتشمل هذه المدن لندن ونيويورك وطوكيو

وباريس ، وهي مدن "لا تتميز بحجمها أو مكانتها كعواصم لدول كبيرة ، بل بنطاقها الجغرافي" . ومدى قوتها الاقتصادية" (كلارك 2003: 156). هذه المدن العالمية أو ما يسمى بالمدن العالمية هي نتاج بعض التغيرات الجيواقتصادية والجيوسياسية والتكنولوجية الأساسية (نوكس 2002).

إن ظهور تقسيم دولي جديد للعمل والأهمية المتزايدة للشركات العابرة للحدود الوطنية يعني أن وظائف الإدارة والتطوير والتصميم رفيعة المستوى تتمركز بشكل متزايد في المدن الرئيسية للاقتصادات الأساسية في العالم . كما عززت التغيرات السياسية تطور المدن العالمية نتيجة لأنماط جديدة من التنظيم (أو إلغاء التنظيم) التي خلقت بيئات مالية جذابة للشركات الدولية . كما أن التقدم في مجال الاتصالات ، الذي أدى إلى ما يسمى بضغط الزمان والمكان ، قد أضاف المزيد إلى مزايا المدن الكبرى كنقاط محورية في "اقتصاد معلوماتي" جديد . إن نتاج هذه التغيرات المعقدة هو المدن العالمية ، "نقاط محورية تعمل كمراكز تحكم لشبكة مترابطة من التدفقات المادية والمالية والثقافية التي تدعم ، معًا ، العولمة وتحافظ عليها" (نوكس 2002: 332). في القراءة الأولى لهذا القسم ، يدرس بيفرستوك وسميث وتايلور شبكة المدن العالمية هذه ، ومن خلال التركيز على الترابطات بين مدن العالم ، يقدمون رؤى مهمة حول بعض العمليات المادية المحددة التي تُشكل العولمة .

في حين أنه من المهم بوضوح تحليل "متلازمة العمليات المعقدة" التي تُشكل العولمة ، فمن الضروري أيضًا إدراك أن هذه العمليات "تُولد نتائج ملموسة ومحددة جغرافيًا ، وغير متساوية للغاية" (ديكين 2004: 16). وقد برز الاهتمام برسم خرائط لهذه النتائج كموضوع مهم ثانٍ في الدراسات الجغرافية الحضرية للعولمة . على مستوى ما ، ينعكس هذا في الاهتمام بالتباين الثقافي المتزايد للمدن . على سبيل المثال ، وصف إدوارد سوجا بوضوح كيف أن أكثر من ثلث المدن التسع مليون نسمة من سكان مقاطعة لوس أنجلوس مولودون في الخارج ، وأن المنطقة تضم بعضًا من أكبر التجمعات الثقافية خارج وطنهم ، والتي تضم ثقافات متنوعة ، تتراوح من المكسيكية إلى الفلبينية ، ومن السلفادورية إلى الساموية (سوجا 1995: 130).

لكن التنوع الثقافي ليس السمة المميزة الوحيدة للعولمة ؛ بل هو أيضًا تزايد التفاوت الاجتماعي والاقتصادي . وعلى النقيض من الادعاءات القائلة بأن العولمة تُنتج "رابحين" أكثر بكثير من "الخاسرين" ، هناك أدلة دامغة على أن مشهد العولمة هو مشهد "ذروات ثراء عالية بشكل مذهل وهبوط حاد في الحرمان" (ديكين 2004: 17). ويجادل البعض بأن هذا الأمر يتجلى بوضوح في المدن العالمية / العالمية . ووفقًا لساسين (1991، 2001)، أحد أكثر المحللين تأثيرًا في المدن العالمية ، فإن عمليات التغيير الاقتصادي في هذه المدن تؤدي إلى استقطاب متزايد في هياكلها المهنية وهياكل دخلها . ومع ذلك ، على الرغم من أن هذه الحجج قد تنطبق على مدن معينة ، مثل نيويورك ولوس أنجلوس ، إلا أن هناك أدلة ، ناقشها هامنيت في القراءة الثانية ، على أن محاولة توسيع "النطاق العالمي" لأطروحة الاستقطاب الاجتماعي هذه لتشمل جميع مدن العالم / العالم قد تُشكل إشكالية . وعلى وجه الخصوص ، يُشير بحث هامنيت ، الذي ركز على راندشتات ، وهي منطقة حضرية رئيسية في هولندا ، إلى أن نتائج العولمة تتأثر بشكل حاسم بالسياقات الوطنية الخاصة بكل مكان .

على الرغم من أن المدن العالمية قد أتاحت مجالًا واسعًا لجغرافيي المدن للمساهمة في نقاشات أوسع حول عمليات العولمة ونتائجها ، إلا أن هذا المنظور ينطوي أيضًا على قيود كبيرة . فالتركيز على المدن العالمية لا يعني فقط أن "الكثير من التنظير والبحوث التجريبية تستند إلى تجارب الولايات المتحدة وأوروبا الغربية ودول أخرى في قلب الاقتصاد العالمي" (غرانت ونيجمان 2002: 320) ، بل إنه أيضًا يُلقي بالعديد من مدن العالم في موقف "غير ذي صلة هيكلية" (روبنسون 2002: 536) . وفي مواجهة هذا المنظور شديد

المركزية العرقية للعولمة ، حوّل العديد من جغرافيي المدن انتباههم إلى آثار العولمة على المدن "الخارجة عن خريطة مدن العالم" (غرانت ونيجمان 2002؛ روبنسون 2002). هذا هو الموضوع الثالث في هذا القسم ، ويُقدّم الأساس المنطقي لاختيار دراسة تشاكرافورتي لمدينة كلكتا . ومثل غيره من الجغرافيين ، يُبدي تشاكرافورتي قلقه من أن نقاش العولمة ليس "عالميًا كما ينبغي" (غرانت ونيجمان 2002: 320)، وعلى وجه الخصوص، من أن تطوير ما يُسمى بمدن العالم الثالث يُنظر إليه عادةً بشكل منفصل عن تطوير المدن الغربية ، "مدن العالم الأول" .

ويُظهر مثال كلكتا مدى تضليل هذا المنظور ، يرتبط التطور التاريخي والجغرافي لهذه المدينة الضخمة (يبلغ عدد سكانها الحالي أكثر من أحد عشر مليون نسمة) ارتباطًا وثيقًا بصلاتها الاستعمارية وما بعد الاستعمارية بالاقتصاد العالمي الأوسع . في الواقع ، يُجسّد تحليل تشاكرافورتي الرأي القائل بأن "جميع المدن هي مدن عالمية" (كينغ 1990) بمعنى أنه لا يمكن فهم التطور الحضري في جزء واحد من العالم بشكل كامل دون الإشارة إلى التطور الحضري في أماكن أخرى من العالم . بالإضافة إلى تحدي المركزية العرقية لنقاشات العولمة ، شكك الجغرافيون الحضريون أيضًا في المنظور الاقتصادي الضيق الذي يُثري العديد من روايات العولمة . هذا هو الموضوع الرابع في هذا القسم . في حين أن الأبعاد الاقتصادية للعولمة ذات أهمية بالغة ، فمن الضروري أيضًا النظر في الطرق التي تتداخل بها هذه الأبعاد وتتشابك مع الجوانب السياسية والثقافية للعولمة . وكما توضح مصطلحات مثل "استعمار الكوكا" و"ماكدونالدز"، على سبيل المثال ، غالبًا ما ترتبط القوة الاقتصادية للشركات العالمية ارتباطًا وثيقًا بقضايا الهيمنة الثقافية الأمريكية في هذه الحالة (شورت وكيم 1999: 4) .

في الواقع ، كانت هناك مزاعم بأن "العولمة الاقتصادية تؤدي حتمًا إلى تجانس ثقافي حيث تُمحى الاختلافات المحلية ببساطة" (جاكسون 2002: 294) . ومع ذلك ، وكما تُظهر قراءة نيجمان ، ربما يكون هذا التشاؤم سابقًا لأوانه . بالاستناد إلى العمل في علم الأنثروبولوجيا الذي سلّط الضوء على كيفية نقل التدفقات العالمية للمهاجرين والسياح للثقافات وتكوين ما يُسمى بالمظاهر الطبيعية العرقية ، يُظهر نيجمان كيف يؤثر وجود السياح الدوليين في أمستردام على المشهد الثقافي لمركز المدينة التاريخي . تشتهر أمستردام عالميًا بكونها منطقة تسامح فيما يتعلق بصناعة الجنس وتعاطي المخدرات "الناعم" ، ويجادل نيجمان بأن المشهد الثقافي لوسط أمستردام يتميز الآن بمزيج معقد من "الأصالة والتصنع" في استجابته لضغوط السياحة العالمية.

باختصار، يُظهر هذا القسم بوضوح أن الجغرافيين الحضريين لا يستجيبون فقط لأجندة أبحاث العولمة الأوسع من خلال تحليلاتهم للعمليات التي تُشكل المدن العالمية ، بل ومن خلال رسم خرائط لنتائج هذه العمليات . كما أنهم يعملون بنشاط على تشكيل هذه الأجندة من خلال التركيز على جوانب التنمية الحضرية التي تتحدى الطابع العرقي والاقتصادي للعديد من مناقشات العولمة.